كعب[٢] بن زهير

أبوه زهير بن أبى سُلْمى من فحول الشعر فى الجاهلية. وهما من قبيلة مزينة ، ولكنهما يوضعان فى عِداد غطفان حيث عاش زهير مع بنيه بين أخواله بنى مُرَّة الذُّبيانيين. وقد تلقن كعب الشعر عن أبيه ، مثله فى ذلك مثل أخيه بُجَيْر ومثل الحُطَيْئة . ويذكر لنا الرواة الطريقة التى كان يخرِّج بها زهير تلاميذه من أهل بيته وغيرهم إذ يقولون إنه كان يحفظهم شعره وشعر غيره من الجاهليين حتى تنضح موهبة الشعر فيهم . ويقولون عن كعب إنه كان يخرج به إلى الصحراء ، فيُلْقى عليه بيتاً أو شطراً ويطلب إليه أن يُجيزه[٣] تمريناً له وتدريباً على صَوْغ

---

(١) لا در درره : الدر : اللبن وكثرته ، يدعو عليه بأن لا يزكو عمله . الحكمات : آيات الذكر الحكيم . وكنى ببياض عمر عن نقاء صحيفته .

(٢) راجع فى ترجمة كعب طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ٨٣ وما بعدها والشعر والشعراء لابن قتيبة ١ / ٨٦ وأغانى (طبعة الساسى) والاستيعاب ص ٢٢٦ وأسد الغابة ٤ / ٢٤٠ والإصابة ٥ / ٣٠٢ ومعجم الشعراء للمرزبانى ص ٢٣٠ والخزانة ١ / ٣٧٥ ، ٤ / ١١ . وقد طبعت دار الكتب المصرية ديوانه برواية ثعلب.

(٣) أغانى (طبع الساسى) ١٥ / ١٤١ وأمالى المرتضى (طبع الحلبى) ١ / ٩٧ .

الشعر ونظمه . ويبدو أن كعبا [illegible]
يدل على ذلك ما يرويه ابن سلام من أن الحطيئة قال له: « قد علمتَ روايتي
لكم أهلَ البيت وانقطاعي إليكم، وقد ذهبت الفحول غيري وغيرك ، فلو قلتَ
شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك فإن الناس لأشعاركم أروى وإليها
أسرع »(١) . فقال كعب قطعته التي يقول فيها:

فمَنْ للقوافي شانَها من يَحُوكها ... إذا ما ثَوَى كعبٌ وفوَّز جَرْوَلُ(٢)

ومعروفٌ أن كعباً وبجيراً أخاه والحطيئة أدركوا الإسلام ، وكان
أسبقهم إلى الدخول فيه بُجَيْر ، وقد هجاه كعب حينئذ هجاء آذى رسول الله بمثل
قوله(٣):

ألا أبلغا عني بُجَيْرًا رسالةً ... فهل لك فيما قلتُ ـ ويحك ـ هل لكا

شربتَ مع المأمون كأساً رَوِيَّةً ... فأنْهلكَ المأمونُ منها وعلَّكا(٤)

وخالفتَ أسباب الهُدَى وتبعتَه ... على أي شيءٍ ـ ويبَ غيرك ـ دلَّكا(٥)

على خُلُقٍ لم تُلْفِ أمًّا ولا أبًا ... عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا

ويقال إن الرسول سمع بهذا الشعر فتوعده ، وأجابه بُجَيْر فيما أجابه به
بقوله(٦):

من مبلغٌ كَعْباً فهل لك فى التى ... تلومُ عليها باطلا وهى أحزم

إلى الله لا العُزَّى ولا اللاتِ وحده ... فتنجو إذا كان النَّجاءُ وتسلم

لدى يومَ لا ينجو وليس بمفلتٍ ... من النار إلا طاهرُ القلب مسلم

وما زال كعب على وثنيته حتى فُتحت مكة وانصرف الرسول صلى الله عليه
سلم من الطائف ، فكتب إليه بجير أن النبي صلى الله عليه سلم قتل كل من

---

(١) ابن سلام ص ٨٧ وانظر الأغانى (طبع دار الكتب) ٣ / ١٦٥ .

(٢) ثوى وفوز : مات وهلك . جرول : الحطيئة .

(٣) مقدمة الديوان ص ٣ وأغانى (ساسى) ص ٢٢٦ .

(٤) المأمون : الرسول وقيل بل أراد به أبابكر . النهل : الشرب الأول . العلل : الشرب الثانى .

(٥) ويب غيرك : هلكت هلاك غيرك

آذاه من شعراء المشركين إلا من أعلنوا إسلامهم، ودعاه أن يقدم على رسول الله تائباً. وشرح الله صدره للإسلام، فقدم المدينة وبدأ بأبي بكر، فوقع من نفسه «فلما سلّم النبي صلى الله عليه وسلم من صلاة الصبح جاء به وهو متلثم بعمامته. فقال: يا رسول الله! هذا رجل جاء يبايعك على الإسلام، فبسط النبيُّ. صلى الله عليه وسلم. يده، فحسر كعب عن وجهه، وقال: هذا مقام العائذ بك يا رسول الله! أنا كعب بن زهير. فتجهّمته الأنصار وغلّظت له. لذكره قبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحبّت المهاجرة أن يُسْلم ويؤمّنه النبي صلى الله عليه وسلم، فأمّنه رسول الله»[١]، وأنشده مدحته الخالدة:

بانتْ سُعاد فقلبي اليوم مَتْبُولُ متيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبُولُ[٢]

فكساه النبي صلى الله عليه وسلم بُرْدة اشتراها معاوية من أبنائه بعشرين ألف درهم، وكان يلبسها الخلفاء بعد معاوية في العيدين[٣]. وقد اكتسى بها كعب حُلّة مجد لا تبلى، ولقّبت قصيدته من أجلها بالبردة. ونراه يستهلها بالغزل، إذ يذكر سعاد وفراقها وأن قلبه مرتهن عندها فليس له فكاك، وكأنه يتأثر أباه في بعض غزله إذ يقول في إحدى قصائده[٤]:

وفارقتْك برَهنٍ لا فِكاكَ له يوم الوداع فأمسى الرَّهْنُ قد غَلِقَا[٥]

ويُلحُّ في وصف سعاد ويشبهها بالظبي ويشبه ريقها بالخمر، متأثراً في ذلك أباه في نفس القصيدة، كما تأثره في الحديث عن إخلاف صاحبته لوعدها. ويخرج من ذلك إلى وصف ناقته مستلهماً ما نظمه أبوه في هذا الموضوع من قبل. وما زال ينعت ناقته حتى قال يصور خوفه وفزعه من رسول الله:

(٣) ابن سلام ص ٨٧ والشعر والشعراء ١/ ١٠٦

وقلت خَلُّوا طريقى - لا أبا لكمُ - فكلُّ ما قدَّر الرحمنُ مفعولُ

كلُّ ابنِ أنثى وإن طالتْ سلامتهُ يوماً على آلةٍ حَدْباءَ محمولُ

أُنبئتُ أنَّ رسولَ الله أوعدنى والعَفْوُ عند رسول الله مأمول

مَهْلاً هداك الذى أعطاك نافلةَ الـ ـقرآن فيها مواعيظٌ وتفصيل

لا تأْخذنّى بأقوال الوشاة ولم أذنبْ ولو كثُرتْ عنى الأقاويل

إن الرسول لنورٌ يُسْتَضاءُ بهِ مهنّدٌ من سيوف الله مسلول(١)

فى عُصْبَةٍ من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسْلَمُوا زُولوا(٢)

زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشُفٌ عند اللِّقاء ولا ميلٌ مَعازيلُ(٣)

ومضى يمدح المهاجرين حتى قال :

يمشون مشى الجمالِ الزُّهْرِ يَعْصمهم ضَرْبٌ إذا عَرَّدَ السُّودُ التنابيلُ(٤)

يعرِّض بالأنصار لغلظتهم - كانت عليه - فأنكرت قريش ما قال ، وقالوا لم تمدحنا إذ هجوتهم ، ولم يقبلوا منه ذلك حتى قال يذكر الأنصارَ :

من سَرَّه كرمُ الحياة فلا يَزَلْ فى مِقْنَبٍ من صالحى الأنصارَ(٥)

البادلين نفوسهم لنبيِّهم يوم الهياج وسطوة الجبَّارِ

يتطهّرون - كأنه نُسُكٌ لهم - بدماءِ مَنْ عَلِقُوا من الكُفَّار(٦)

صدموا عَلِيًّا يوم بَدْرٍ صَدْمةً دَانَتْ لوقْعَتِها جميعُ نزار(٧)

---

(١) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند وهو خير السيوف .

(٢) زولوا : هاجروا .

(٣) أنكاس : جمع نكس وهو الضعيف الذليل . كشف : جمع أكشف وهو الذى ينكشف عن صحبه ومن يستغيث به .

(٤) الزهر : المتبخس . عرد : نكل وجبن . التنابيل : القصار .

(٥) المقنب : جماعة الخيل والفرسان .

١٨

الفرزدق[1]

المتوفى سنة ١١٠ هـ

نشأته وحياته

هو أبو فراس همام بن غالب التميمي. كانت ولادته ونشأته بالبصرة، فدرج في عش الأدب وشب في ربوع الفصاحة. وأخذ أبوه يروّيه الشعر ويعلمه القريض حتى تفتقت عنه قريحته، وانطلق به لسانه؛ فقدمه ذات يوم إلى أمير المؤمنين عليّ بعد واقعة الجمل مفتخراً بجودة شعره على صغره. فقال له عليه السلام أقرئه القرآن فهو خير له. فارتسمت هذه الكلمة في ذهن الفرزدق حتى كبر، فصمم على حفظ القرآن، فقيد نفسه وأقسم ألا يفكّ حتى يحفظه، وبرّ بيمينه. ثم اتصل بولاة المصرين فنالهم بالمدح والهجاء، وأجازوه بالإدناء والإقصاء. ومدح خلفاء الأمويين بالشام ولا سيما عبد الملك فوصلوه ولكنه لم ينفق عندهم لتشيعه لآل عليّ. وكان الفرزدق معاصراً لجرير وكان بينهما تنافس وتحاسد. فما كاد يحتدم الهجاء بين جرير وبين شاعر آخر اسمه البَعيث حتى وقف الفرزدق في صف البعيث وآزره. فغاظ ذلك جريراً فهجا الفرزدق، ورد عليه هذا، فاستطار بينهما الهجاء عشر سنين، ففتق ذهنيهما، وأحدّ لسانيهما، ونمى فيهما قوة المبادهة والمجادلة، وصدق النظر. وانشعب الناس في أمرهما شعبتين، تناصر كل منهما أحد الشاعرين. وجعل أحد أشياع الفرزدق أربعة آلاف درهم وفرساً لمن يغلّبه على جرير، وكان الفرزدق فاجراً، فاحش النطق، خبيث الهجاء، ضعيف الدين، قاذفاً المحصنات، يأوي إلى ركن شديد من شرف حسبه، وكرم نسبه. فاستعان بكل رذائله وفضائله على جرير فما هزمه ولا أسقطه.

---

(١) راجع صفحة ١٩، ١٢٤، ١٢٥، ١٦٠.

ثم كانت له مواقف محمودة فى الذود عن آل علىّ تجلت فيها صراحته وشجاعته ، كموقفه يوم التقى بهشام بن عبدالملك فى الحج ، وسمعه يقول حينما رأى على بن الحسين فى موضع التجلة من الناس : (من هذا ؟) تجاهلا لأمره ، وغضا من قدره . فشق ذلك على الفرزدق ، فأجابه بقصيدته التى مطلعها :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحِلُّ والحرم

فحبسه هشام ثم أطلقه بعد هجائه إياه . وتوفى الفرزدق بالبصرة سنة ١١٠هـ وقد شارف المائة .

شعره

كان الفرزدق فخوراً بأصله مدلاً بأهله ، ولوعاً بتعداد مآثر آبائه حتى أمام الخلفاء ، فغلب شعره فى الفخر ؛ ولغة الفخر تقتضى الألفاظ الضخمة ، والأساليب الفخمة ، والكلم الغريب ، وذكر أيام العرب وأنسابهم ، واحتذاء البادين فى أساليبهم . لذلك أعجب به الرواة ، وفضله النحاة ، وقالوا : لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث العربية . على أنه طالما تألم من صلابة شعره ؛ وتمنى أن تكون له رقة جرير ، ولجرير صلابته لطهره . وفى ذلك تأييد منه لحكم الأخطل عليهما بقوله : الفرزدق ينحت من صخر ، وجرير يغرف من بحر .

والفرزدق بعد ذلك فى الهجاء مقذع ، وفى الوصف مبدع ، وفى المديح وسط ، وفى الرثاء متخلف .

نموذج من شعره

إذا اغبرَّ آفاقُ السماء وكشفت بيوتاً وراء الحىّ نكباء حَرجُفُ

وأصبح مُبيَضُّ الصقيع كأنه على مَرَوَات الثيب قطنٌ مندَّفُ

٤- ترى جارنا فينا بخير وإن جنى ... فلا هو مما ينطف الجار ينطف

٥- وكنا إذا نامت كليب عن القرى ... إلى الضيف نمشي بالمبيط ونلحف

٦- لنا العزة القعساء والعدد الذي ... عليه إذا عد الحصى يتخلف

٧- ترى الناس إن سرنا يسيرون خلفنا ... وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

٨- وإنك إذ تسعى لتدرك شأونا ... لأنت المنى يا جرير المكلف

معاني الكلمات

١- هرجف : الرياح الباردة الشديدة الهبوب مع جفاف

٢- سروات : جمع (السراة) وهي وسط الشيء ومعظمه

النيب : الناقة المسنة ؛ المعنى عطى الثلج وسط الناقة وأعلاها فأنه قطن قندف

٣- ينطف : تطف ؛ جهد وتعب حتى عرق أو جاد سيفه يقطر دما.

٤ المبيط : سيل جسمهم دما نقيا . (كليب) قبيلة جرير

ملحف : الحاح الجرح بالترف . وتحمل معنى آخر صوانهم اتخذوا لنفسهم غطاء من القطن

٥- القعساء : القوة الثابتة الممتنعة

٦- المعنى : التعب المجهد

جرير النقائض : شاعر قبيلة من القبائل ينظم قصيدة من القصائد في الفخر بقبيلته وامجادها ويتعرض لخصومها من القبائل الأخرى فيثير له شاعر من شعراء تلك القبائل ليرد عليه بقصيدة على وزن قصيدته وروريها ليتعوق عليه من ناحية المعاني والفن ويتجمع الناس من حواليهما يصفقون ويهتفون وتحولت النقائض من فن الهجاء الى ضرب من ضروب الملاهي لسد حاجة المجتمع

جرير (١)

المتوفى سنة ١١٠

نشأته وحياته

هو أبو حزرة جرير بن عطية الخطفى التميمى . ولد باليمامة لسبعة أشهر ، ونشأ بالبادية ، فشب فصيح اللسان صحيح الوجدان مطبوع القريحة على الشعر. ولما آنس فى نفسه القدرة على قرضه ، والجرأة على عرضه ، ورد البصرة موطن الفرزدق ينتجع الكرماء ، ، ويمتدح الكبراء ، ويمتار لأهله . فازدهاه ما رأى على الفرزدق من حلل النعمة ومظاهر الجاه بفضل الشعر ، وهو تميمى مثله، فدب فى قلبه دبيب الحسد له ، واشتهى أن يساويه فى حسن حاله ، ووفرة ماله ؛

(١) راجع صفحة ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ .

فتولدت من تنافسهما وتزاحمهما أسباب المهاجاة بينهما : وأراد جرير أن يرامى قرنه عن كَثَبٍ ، فترك البادية واستوطن البصرة وغشى المربد[1] ، ودخل فى كنف الحجاج فحسن موقعه عنده ، وطارت مدائحه فيه ، حتى بلغت عبد الملك فنفِسَه على الحجاج . وأحس الوالى رغبة الخليفة فأوفده مع ابنه محمد إلى دمشق ، فلما دخل جرير على عبد الملك استأذنه فى الإنشاد فأبى أن يأذن له ، وقال له بلهجة العاتب الحنِق : إنما أنت للحجاج ! فما زال يتوسل إليه ، ويتحمل بالناس عليه حتى أنشده قصيدته التى مطلعها :

أنصحو أم فؤادك غير صاح عشية هَمَّ صحبك بالرواح ؟

فلما وصل إلى قوله منها :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح ؟

تبسم عبد الملك وقال : كذلك نحن وما زلنا كذلك . وأجازه بمائة لقحة وثمانية رعاء . وأصبح جرير بعد هذه القصيدة وعمود الأخطل آثر الشعراء عند الخلفاء ولاسيما عمر بن عبد العزيز ، ولكن زلفاه لدى القصر أشعلت نار الغيرة فى قلوب مناظريه ، فشنوا عليه حرب الهجاء وأرثّ هذه الحربَ أغراضُ السياسة ، وتحريض الفرزدق ، وضيق خلق جرير ، وحب الناس لمشاهد الخصومة ؛ فنصب لجرير من هؤلاء الأقران ثمانون شاعراً ظهر عليهم جميعاً[2]

---

(١) المربد سوق من أسواق البصرة كانت تعرف بسوق الإبل ثم عمرها الناس واتخذوها فى زمن بنى أمية منتدى للشعر والخطابة ، فألفت فيه حلقات المناشدة والمفاخرة ، ومجالس الأدب والمذاكرة وأمها الشعراء والأشراف والرواة وطبقات شتى من الناس كل يوم للمنافرة والمحاكمة وتأريث نار الخصومة بين الشعراء ، وكان لفحولهم فيها حلقات خاصة أشهرها حلقة الفرزدق والراعى .

(٢) ظفر جرير بهؤلاء جميعا بلسانه ، فلا هو ذو نسب كريم يمده بالفخر . ولا ذو عترة قوية تساعده بالهيبة ، وهذا سر تفوقه وسبب تفضيله ، روى صاحب الأغانى أن رجلا قال لجرير من أشعر الناس ؟ فقال له : قم حتى أعرفك من هو ، ودخل به بيت أبيه عطية وقد أخذ عنزة فاعتقلها وجعل يمص ضرعها ، فصاح به : أخرج يا أبت ؛ فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته ، فقال جرير : أتعرف من هذا الرجل ؟ قال الرجل لا ؟ قال هذا أبى ، كان يشرب من ضرع العنزة مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن . وإن أشعر

إلا الفرزدق والأخطل فإنهما نازعاه الغلبة وثبتا له . ودامت هذه المهاجاة سجالا بينهم حتى توفى الأخطل ، ففرغ جرير للفرزدق وكانت بينهما النقائض [1] المشهورة التى لهج بها الناس ، وشغل بها الشعراء . ثم بدا للفرزدق أن يكف ، فكف وتنسك حتى مات . فمضى جرير لسبيله بعده ببضعة أشهر ودفن باليمامة سنة ١١٠ هـ .

شعره

برىء جرير من خبث الأخطل وسُكره ، ومن جفاء الفرزدق وفجره ، وتجمل بصفاء الطبع ، ورقة الشعور ، ونقاء الجيب ، وصحة الدين ، وحسن الخلق ، فظهر أثر ذلك كله فى شعره ، فامتاز بطلاوة الأسلوب ، وحلاوة الغزل ، ومرارة الهجاء ، وإجادة الرثاء ، وحسن التصرف فى جميع فنون الشعر . فكان بذلك أظهر فى سماء الشعر ، وأقرب إلى صفة الشاعر ، وأكثر أشياعاً من الأخطل والفرزدق . فإن الأول لم يُجد إلا فى المدح والهجاء والخمر ، والثانى لم ينبغ إلا فى الفخر .

نموذج من شعره

قال يهجو الفرزدق :

لقد ولدت أمُّ الفرزدق مقرفاً ... فجاءت بوزّار قصير القوادم

وما كان جدّاً للفرزدق سلّم ... ليأتى مقرداً ليثله غير نائم

يوصّل حبليه إذا حنّ ليله ... ليرقى إلى جاراته بالسلالم

تدأيتَ لتزنى من ثمانين قامة ... وقصّرتَ عن باع العلى والمكارم

هو الرجس يا أهل المدينة فاحذروا ... مداخل رجس بالخبيثات عالم

(١) سميت بذلك لأن أحدهما يقول القصيدة فينقضها عليه الآخر ملتزما فى ذلك ما التزمه صاحبه من الوزن القافية .

تعريف

لا غنى عنه

أساس اللغة الحروف (وأدق ما تُدرَس به أحوالها علم الأصوات، وهو أحد موضوعات الألسنية).

ومن الحروف تتألف الكلمات (وفا علم الصرف).

ومن الكلمات تتألف الجمل (وفا علم النحو).

الحُروف

تسميتها

حروف اللغة العربية تسعةً وعشرونَ. وهي:

ء	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ
همزة	ألف	باء	تاء	ثاء	جيم	حاء	خاء	دال	ذال
ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ
راء	زاي	سين	شين	صاد	ضاد	طاء	ظاء	عين	غين
ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	
فاء	قاف	كاف	لام	ميم	نون	هاء	واو	ياء	

تُطلَق على مجموعة هذه الحروف عدّة أسماء هي:

١) حروف الهجاء لأنّ الكلمات تُهجّأ بها، فنحن، مثلاً، نقول في تهجئة الكلمة «رَيحانَة»: راء فتحة ياء نون رَيـ. حاء فتحة ألف حا رَيحا. نون فتحة نْ رَيحانَ. تاء ضمتين ةٌ (نقطتان) رَيحانَةٌ.

٢) الألفباء وهو اسم مركّب من الحرفين الأوّلين استناداً إلى الترتيب الشائع الذي لا تذكر فيه الهمزة بل يُبدأ فيه بحرف الألف على أنه كرسيّ لها، وتلحق فيه الألف بحرف اللام على أنها حرف مدّ، فيصير الترتيب هو الآتي:

أ	ب	ت	.....	لا	ي
ألف	باء		.....	لام ألف	ياء

٣) الأبجدية نسبةً إلى المجموعة الأولى في الترتيب الآتي، الذي يمثّل فيه كلّ حرف عدداً، وتعتبر فيه الهمزة بقيمة كرسيّها، ويستفاد منه في حساب الجُمَل للتاريخ

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
أبْجَد				هَوَّز			حِطّي		

ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠
كَلَمُن				سَعفَص			

ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠
قَرَشَت									

الشعر في العصر الأموي

ما جددوا وما توسعوا فيه من أغراضه

لم يخرج شعر هذا العصر في جوهره عما كان عليه الشعر في عصر صدر الإسلام من حيث المعاني والألفاظ والأساليب والأوزان ، غير أن الأحوال التي جدّت في الحياة الإسلامية من سياسية واجتماعية وفكرية ، قد أثّرت فيه ، أو تأثّر بها ، وظهر فيه شيء من التنوع والتجديد والتوسع في الأغراض .

وكان أهم ما ظهر فيه من الألوان الجديدة ، هو : « الشعر السياسي » ، و « شعر المناقضات » ، و « الشعر الغزلي الاباحي » و « العذري » ، كما برزت ألوان أخرى دون هذه أهمية كانت في وصف البلاد المفتوحة والحروب الدائرة ، وما فيه تعبير عن عاطفة دينية من دعوة إلى زهد ، وترغيب في الآخرة ، أو نكير على ما يخالف الدين .

أما الفنون التي توسعوا فيها ، فمنها (الأراجيز) وقد جاؤوا منها بالمطولات ، بعدما كان الراجز لا يقول إلا البيت والبيتين أو الأبيات القليلة في أغراض خاصة كالحداء ، أو وصف الحيوانات ، أو عند المبارزة في القتال . أما رجّاز هذا العصر ، فقد جاوزوا تلك الأغراض إلى أغراض القصيد الأخرى : من مديح وفخر ورثاء وهجاء ووصف وغزل ، واستهلوها كما يفعل شعراء القصيد بالنسيب والتشبيب . ومنها (الراعويّات) ، وهي ما يقال في الراعي وما يرعى ، وفي وصف الإبل والأضمان والحدوج ، ومواضع البادية ومياهها ، وما يتصل بمثل ذلك . وقد طوّلوا القول

فيها « كالرجز »، وتوسعوا في أغراضها وكذلك توسعوا في « المديح » و« الهجاء »
وبعض « الأوصاف »

ان هذه الألوان الشعرية التي اصطبغت بها حياة الأدب في هذا العصر
قد اختلفت باختلاف البيئات والأقاليم والمؤثرات المحلية ودواعي القول ، فظ
« الشعر السياسي » قويا في العراق أكثر من الأمصار الأخرى ، إذ كانت الناحي
اليه أقوى فيه وأشد ، بسبب ما نشأ فيه من الفوضى والفتن ، وما ظهر فيه من
الأحزاب والمذاهب والنحل ، فكان الصراع السياسي فيه حاداً شديداً . ظ
ـ الشعر الغزلي العذري ـ عند نفر من شعراء الحجاز أغدقت الدولة الأموال عليهم
لتصرفهم عن التفكير في شؤون الخلافة ، وتبعدهم عن السياسة . فأترفوا وتزهدوا
إلى اللهو والغزل العابث . كما شاع الغزل العذري في البادية بسبب ما احتفظت
به شعراء القبائل من تصون وتحفظ وأخلاق بدوية زادها الاسلام عفة وطهراً

أما الأغراض المعروفة ، فتتمثل في شعر معظم الشعراء على اختلاف ديارهم
وقبائلهم ، وكان جلهم من شعراء المديح ، المتقربين إلى أمراء الدولة ، فكان
مثابتهم « دمشق » عاصمة الخلافة الأموية ، حيث يجدون في قصور الخلفاء
والأمراء ما يؤملون من الغنى والعطاء .

سؤال ما الذي كان يدعو الشعراء

هذه العوامل كلها ، كانت تدعو شعراء هذا العصر إلى تجويد القول
وتهذيبه ، وهناك باعث آخر ربما لا يقل خطراً عن تلك ، ذلك هو نهضة البصرة
والكوفة بعلوم النحو واللغة والرواية ، وتكاثر أئمة العربية بهما وازدحام حلقات
في المصرين بالمتعلمين ، وشيوع النقد لخير ما يقال من شعر كبار الشعراء ، فدفع
ذلك إلى التجويد وتجنب الخطأ ، وسنزيد ذلك توضيحاً

خصائص الشعر في العصر الأموي

حافظ الشعر في هذا العصر على أكثر خصائصه السابقة : من حيث رصانة اللفظ وجزالة التعبير ، واستعمال الألفاظ الغريبة في الموضوعات التي تناسبها ، كأوصاف البادية وحيوانها ، والصيد ، وبعض المديح والفخر واستهلال القصيدة بالنسيب وذكر الديار ، واشتمالها على عدة أغراض .

ولكنه — مع ذلك — تأثر بأسلوب القرآن الكريم والحديث النبوي في انتحاء السهولة والوضوح ، وظهر أثره في شعر الحواضر أقوى منه في شعر البوادي وأوضح ، وغدا الكثير من شعراء الحضر يستعمل في شعره الألفاظ الإسلامية التي استعملها القرآن ، والتراكيب والمجازات النبوية ، إذ علموا أن البلاغة ليست في غريب اللفظ وحوشيه وغموض المعنى وخفائه ، بل بسهولة العبارة وانسجام اللفظ ووضوح القصد .

أما شعر البادية فقد ظلت المسحة البدوية غالبة عليه ، ويكثر التوعر والاغراب فيه في وصف الحيوان ومواضع البادية والطرد[1] وشيء من الفخر والحماسة ، وتجد صورة ذلك في شعر الفرزدق وذي الرمة والراعي النميري والعجاج ورؤبة وأمثالهم ، وينحو الى الرقة والسهولة في الغزل والنسيب كما في شعر جميل بثينة وكثير عزة وقيس لبنى وابن الطثرية والعمة بن عبدالله القشيري وابن الدمينة وأضرابهم .

وكان شعر هذا العصر — في الغالب — أكثر مراعاة الربط والصلة بين أبيات القصيدة من سابقة .

معانيه وأخيلته

اعتمد الشعر في هذا العصر في أكثر معانيه وأخيلته على معاني الشع
العصر السابق وأخيلته، ولكنه اختلف عنه في مراعاة التسلسل بين معاني القص
وترتيب أفكارها، وتقريبها إلى الأذهان، ثم ما جلاه من صور وأخيلة استم
من الحضارة الجديدة والحياة المتطورة، وأهم المعاني الإسلامية التي جاء
الكتاب والسنة، والصور والأخيلة التي أفادها الشعراء من مخالطتهم لأمم
كانوا عنها في معزل من قبل، وما اقتبسوه من حضارتها ورسومها. أما شع
البادية الذين ظلوا على عزلتهم في بواديهم وديارهم، أو كان لهم خلاط قليل ب
فقد كانت هذه المؤثرات ضعيفة فيهم، غير واضحة في شعرهم.

مميزات الخطبة الإسلامية

وعلى هذا النحو كانت خطابة الرسول عليه السلام متممة للذكر الحكيم، ومن ثم كانت فرضاً مكتوباً فى صلاة الجمع والأعياد ثم مواسم الحج، وتحتفظ كتب الحديث بما اتخذه فيها من سنن وتقاليد[١] ثبتت إلى اليوم. وبينما كانت تسبق الخطابة الصلاة فى الجمع كانت الصلاة تسبقها فى الأعياد، وهى تتوزع على خطبتين يقف فيهما الخطيب على منبر أو نشز من الأرض وقد اعتمد على قوس أو سيف أو عصا، ويُقبل على الناس مسلماً. وتبدأ الخطبة الأولى فى الجمع بحمد الله تعالى وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسوله، ويُؤثر عن الرسول أنه كان يقول فى فاتحة هذه الخطبة: «الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ومن يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل الله فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له»[٢]. وعادة يتلو الخطيب فى الخطبة الأولى لصلاة الجمعة بعض آى القرآن الكريم، حتى يستلهمها فى موعظته. وإذا انتهى منها جلس، ثم يقوم للخطبة الثانية، وفيها يكثر من الدعاء

[illegible]

ولا تُفتتح خطبتا العيدين بالحمد لله إنما تفتتح بالتكبير، فيكبر الخطيب فى أولاهما سبع تكبيرات وفى ثانيتهما خمس تكبيرات.

وطبيعى أن تقضى هذه الخطابة على كل لون قديم من الخطابة الجاهلية لا يتفق وروح الإسلام، ولا نقصد سجع الكهان الذى كان يرتبط بدينهم الوثنى فحسب، بل نقصد أيضاً خطابة المنافرات، فقد نهى الإسلام عن التكاثر بالآباء والأنساب والأحساب، وإن ظلت لذلك بقية فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم حين كانت تفد عليه وفود العرب، على نحو ما نعرف عن وفد تميم وقيام خطيبهم عطارد بن حاجب بن زرارة بين يديه مفاخراً بقومه،

---

(١) انظر فى صلاة الجمع والعيدين كتب

(٢) عيون الأخبار ٢/٢٣١.

خطابة الرسول صلى الله عليه وسلم : وقد أوتي جوامع الكلم

والفصاحة ما ملك به أزمة القلوب ، وكأنما كانت المعانى والأساليب موقوفة بشخوصها بين يديه ، ليختار منها ما تهش له الأسماع وتُصْغى له الأفئدة . وقد ظل طوال مكثه بمكة يتلو على قريش ومن يلقاه فى الأسواق كتاب الله حيناً ، وحيناً آخر كان يخطب فى نفس معانى القرآن المكية متحدثاً عن رسالته ، وداعياً إلى وحدانية الله مبيناً أنه يهيمن على الناس فى أعمالهم وأنه سيبعثهم يوم القيامة ، ليَجْزى بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً ، حتى إذا انتقل إلى المدينة فُرضت الخطابة — كما قدمنا — فى صلاة الجمع والأعياد ثم فى مواسم الحج . وكان ما يزال يخطب فى الأحداث التى تُلِم به وفى أخباره أنه كان يطيل الخطبة أحياناً إلى ساعات (١) غير أن كتب الأدب والتاريخ لم تحتفظ من هذا التراث القيم إلا بأطراف قليلة ، ولعل مرجع ذلك إلى طول المسافة بين خُطَبه وعصر التدوين فضاعت أو سقطت من يد الزمن إلا بقايا قليلة .

وأكثرُ هذه البقايا مما خَطب به عليه الصلاة والسلام بعد الهجرة ، وهو فيها يتطابق مع آى القرآن التى كانت تنزل عليه ، إذ نراه تارة واعظاً ، وتارة مشرِّعاً ، وقد يجمع بين الطرفين من الوعظ والتشريع فى نسيج بلاغى رائع . ونحن نسوق أول خطبة خطبها بالمدينة حين صلى بالناس فى دخوله إليها صلاةَ الجمعة ، وهى تمضى على هذه الشاكلة (٢) :

« الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أكفُره وأعادى من يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلّة من العلم وضلالة من الناس وانقطاعٍ من الزمان ودُنوٍّ من الساعة وقُرْب من الأجل . مَنْ يطع الله ورسوله فقد رشد . ومن يعصهما فقد غَوَى وفرَّط وضل ضلالا بعيداً . وأوصيكم بتقوى الله . فإنه خير ما أوصى به المسلمُ المسلمَ أن يحضَّه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله . فاحذروا ما حذركم الله من نفسه . ولا أفضل من ذلك نصيحة . ولا أفضل من ذلك ذكراً . وإن تقوى الله ، لمن عمل به على وَجَل ومخافةٍ من ربه ، عَوْنٌ صِدْقٍ على ما تبغون من أمر الآخرة